مدرسة النجف الفقهية و العرفان الاخلاقي

م. د بتول فاروق الحسون

كليـــــة الفقه / جامعــة الكوفـــــة

المقدمة:

الجميع يعرف ان مدرسة النجف الفقهية الحوزوية هي مدرسة اصولية عقلية في الغالب ، وان لديها ضوابط صارمة للاجتهاد الفقهي، و لديها تقاليد عريقة للبحث الاصولي والفقهي ، وهي مدرسة تعنى في الاساس بهذا الجانب ، الا ان ذلك لا يعني انها قد انعدمت فيها المشارب السلوكية ،او الطرق الروحية ، للوصول الى معرفة اللّه وعبادته بالوجه الحق ، وسلوك الطرق الخاصة بالزهد والتعفف ، والتنسك والاعتكاف من اجل التعلم والعبادة ، بل ان اغلبية المراجع الكبار في حوزة النجف هم من الزهاد الورعين عما في ايدي الناس، وبهرجة الحياة ، وغالبا مايعيشون شظف العيش ، والابتعاد عن البهرجة والفخامة في المسكن والملبس.

من هنا يتناول هذا البحث موقف هذه الحوزة من علم العرفان ، وما هو المذموم منه ، وما هو خارج نطاق الشريعة ، والدين الاسلامي ، وما هو مقبول منه. و علاقة العرفان بمذهب اهل البيت، واسباب انتشاره في قم ، بدلا من النجف ، وما الاسباب التي دعت اغلب المراجع الى تحريمه، ولا يعدونه مذهبا صحيحا. وهل يمكن حدوث تغيير في هذه النظرة اذا ما تغيرت مفاهيم العرفان الى النوع المعترف به اسلاميا . ودراسة انموذج عرفاني نجفي حديث يمكن ان يبين لنا ـ كقراء ـ الصفات التي يتحلى بها العرفان النجفي ، ومدى اختراقه للمنظومة الكلامية الرسمية للحوزة العلمية في النجف .

اسباب البحث : كثرت في الآونة الاخيرة في الاوساط الشبابية والثقافية ومواقع التواصل الاجتماعي نزوع نحو قراءة الادبيات الصوفية والعرفانية ، وانتشار الموسيقى وحلقات الرقص المولوي ،يكاد يكون اكتساحا للساحة الدينية ، وصارت هناك تساؤلات عدة عن موقف المدرسة الامامية من العرفان ، وبالذات الحوزة النجفية ، التي يلاحظ عليها غياب مظاهر العرفان كما يفهمه البعض .

فرضية البحث : ان المدرسة الامامية النجفية قد ميزت بين نوعين من العرفان ، فبحسب تعريف العرفان لدى جماعة ما ، يتم اصدار الحكم علية ، فهناك عرفان ممدوح وعرفان مذموم، . وهناك عرفان نظري وعرفان عملي سلوكي اخلاقي والنوع الثاني لايتعارض مع المدرسة الاصولية العقلية

من هنا جاء البحث على مباحث ثلاثة :

الاول : التحديدات المصطلحية والتعريف بالمدرسة النجفية ، والمدرسة العرفانية مع عرض تاريخي مبسط لكل منهما .

الثاني : خصائص المدرسة الاصولية النجفية ، وادوارها .

وخصائص المدرسة العرفانية ، وذكر انواعها المتطرفة والمعتدلة وذكر الفتاوى بحقها .

الثالث : نموذج نجفي عرفاني ، حديث ، والحراك الاجتماعي المعاصر وانتشار التدين العرفاني على حساب التدين الفقهي التشريعي، التقليدي.

الخاتمة ونتائج البحث

ثم المصادر والمراجع والهوامش.

علما ان البحث هو اشارات سريعة وعاجلة، لموضوع واسع ، يمكن ان يرسم لنا ملامح التميز في مدرسة النجف الفقهية ، ومالها وما عليها .

ومن اللّه التوفيق ...

المبحث الاول : تحديدات مصطلحية وتاريخ المدرسة النجفية والعرفان

المطلب الاول / التعريفات

مدرسة النجف الفقهية :

المعنى اللغوي للمفردات واضحة لا يحتاج الى تعريفات خاصة .

فالمدرسة : لا يقصد بها البناية او الوجود المادي لها ، بل يقصد بها الاتجاه او الرؤية الخاصة بموضوع معين ...

اما النجف : فهي مدينة مقدسة ، نشأت بظهر الكوفة في العراق ، و يرجع تاريخها إلى العصر الجاهلي حيث كانت مركزا للأديرة المسيحية ، وبها مرقد الامام علي ابن أبي طالب (ع)، كانت المدينة تابعة للكوفة ، يرجع اصل التسمية إلى المنجوف أي المكان الذي لا يصل اليه المياه ،و للمدينة قدسية عند المسلمين ، وخاصة الشيعة كونها مرقد أول الائمة علي ابن أبي طالب ع ويوجد فيها مسجدا الكوفة والسهلة ، حيث الان ان الكوفة اداريا تابعة لمحافظة النجف ، يوجد في المدينة عدة معالم تاريخية واغلبها معالم اسلامية، وهي مركز الحوزة العلمية [١]

اما الفقه بالمعنى اللغوي : هو العلم بالشيء والفهم له[٢].

اما بالمعنى الاصطلاحي فتعني اللفظة : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية وتحديد وظيفة المكلف العملية عن أدلتها التفصيلية المتمثلة بالقرآن والسنة والإجماع

والعقل. ،او هو : العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من ادلتها التفصيلية [٣].

مدرسة النجف الفقهية : يطلق عليها الحوزة العلمية ، ولها نظامها الخاص بالدراسة

وتعريف الحوزة لغة : حوزة الشيخ : مجلسه الذي يلقي على مريديه فيه العلم [٤]

والحوزة العلمية : "مصطلح يطلق على المراكز الدراسية التي تضم طلبة العلوم الدينية في الوسط الشيعي، والتي تقع تحت إشراف وإدارة العلماء الكبار ومراجع التقليد العظام. وتنقسم الحوزة العلمية الشيعية إلى مجموعة من المدارس الفرعية، وتحظى باستقلال مادي واقتصادي خاص. فلا تخضع في مواردها المالية والاقتصادية إلى الدعم الحكومي بل يقوم مراجع التقليد بتأمين ما تحتاج إليه الحوزات العلمية من خلال الوجوه الشرعية كالأخماس والزكوات وهدايا المؤمنين[٥] .

تعريف العرفان : لغة واصطلاحا:

العرفان في اللغة مشتقّ من "عَرَفَ"، ويُعْنى به المعرفة. يقول ابن منظور: "عرف : العرفان: العلم... عَرَفه، يَعْرِفُه، عِرْفة وعِرْفانا وعِرِفانا ومَعْرِفة واعترفه... ورجل عروفٌ: وعَروفة: عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحدا رآه مرة... والعريف والعارف بمعنى مثل : عليم وعالم... والجمع عرفاء" [٦] .

وعرف اصطلاحا : "العرفان هو عبارة عن العلم بالحق سبحانه من حيث أسمائه و صفاته ومظاهره، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفية رجوعها إلى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحدية للحق تعالى، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيتها ولاتصالها بمبدئها واتصافها

بنعت الإطلاق والكلية ٧ ، وعرفه محمد تقي مصباح اليزدي : "عبارة عن المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بواسطة العقل او التجربة الحسية .. وهذا اللون من المعرفة يحصل في ظل العمل المخلص بأحكام الدين ، وهو الثمرة الرفيعة والنهائية للدين الحقيقي"٨ .

كما تم تعريف الكلمة اصطلاحا : هو المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بفضل التجربة الحسيّة فأن العارف الذي حقق تقدما في سيره العرفاني ينظر إلى عالم الوجود على انه مظهر من مظاهر الباري عز وجل وان كل ظاهرة على هذا الوجود ان هي مرآة تعكس الجمال الاحدي وهو وجود اللّه تبارك وتعالى ؟ وبعبارة أخرى ان كل موجود من الموجودات في هذا العالم ان هو من فيض ذلك الوجود الحقيقي والوجود الحقيقي هو اللّه تبارك وتعالى كما ان العارف العرفاني لا يرى لهذه الموجودات وجود مستقل بل يرى الوجود المستقل لذات اللّه تبارك وتعالى٩ .

يقول محمد عابد الجابري في تعريفه للعرفان " يبدو العرفان نظاما معرفيا مستقلا قائما بذاته ، ينفصل عن سواه في نظرته واتجاهه وفي فضائه وميدانه الخاص ، وبالتالي في انه منهج وطريق للمعرفة ... وفي اللغات الاجنبية يسمى "الغنوص" (Gnose) ومعناها المعرفة وقد استعملت بمعنى العلم والحكمة"١٠ .

والعرفان العملي والاخلاق :

العرفان العملي علم يوضّح كيفية السير والسلوك للوصول إلى الحقيقة المطلقة، وهو بهذا الأسلوب يبيّن ما ينبغي على السالك أن يفعله وما لا ينبغي. وعلى هذا الأساس، فالعرفان العملي لا يختلف كثيرا عن علم الأخلاق الذي هو علم يبيّن كيفية اكتساب الفضائل والابتعاد من الرذائل. ١١ و ما يميّز العرفان النظري عن

الأخلاق، هو أنّ العرفان النظري مذهب فكري، يُعني بتفسير الوجود ومعرفة اللّه والعالم والإنسان، فالعرفان النظري من هذه الجهة كالفلسفة، وهذا يخالف علم الأخلاق. ١٢

المطلب الثاني

تاريخ المدرسة النجفية الحوزوية :

"في سنة (٤٤٨ هـ) نزح إلى مدينة النجف من بغداد كبيرُ علماء الشيعة في ذلك العهد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، إثر فتنة طائفية أثارها السلجوقيون في مفتتح حكمهم في العراق، وكان من آثارها الهجوم على دار الشيخ الطوسي، ونهب كتبه وإحراق كرسيّه الذي كان يجلس عليه للتدريس، وإحراق مكتبات أخرى. فكان ارتحال الشيخ الطوسي إلى النجف، بداية عهد جديد في حياة هذه المدينة التي أخذت منذ ذلك العهد تتحول من مدينة ومزار إلى جامعة كبرى. ويبدو أنه كان للنجف قبل الشيخ الطوسي شأن علمي، وكان يقصدها الناس للدراسة على علمائها المجاورين فيها، فمنذ أوائل القرن الثالث للهجرة نرى أسماء علمية بارزة تنسب إلى النجف، مثل: شرف الدين بن علي النجفي، وأحمد بن عبد اللّه الغروي، وابن شهريار، كما أن هناك إجازات علمية تحمل اسم النجف. ثمّ نرى أن المؤرخين يذكرون أن عضد الدولة البُوَيهي حين زيارته للنجف سنة ٣٧١ هـ، وزّع أموالا على الفقهاء والفقراء، ومعنى هذا أنه كان فيها جمهور من الفقهاء خَفِيَت عنّا أخبارهم، وضاعت فيما ضاع من أخبار النجف الكثيرة، ومعنى هذا أيضا، أنه كان قبلهم فيها فقهاء، وظل بعدهم فيها فقهاء. ولكي يشير المؤرخون إلى وجود الفقهاء فيها حين زيارة عضد الدولة، لابد من أن يكون هؤلاء الفقهاء حصيلة دراسات متصلة من عهدٍ لا نستطيع تحديده تحديدا دقيقا" ١٣ .

الحوزة بعد الشيخ الطوسي:

ويستمر ذلك حتى القرن السابع الهجري، تنتقل الحوزة الى الحلة فتغدو هي البديل عن النجف، ولتكون مقرًا لكبار علماء الشيعة ومقرّ تدريسهم، على أن النجف ظلت محتفظة بطابعها العلمي، وظل فيها من العلماء والفقهاء. ولكن الأمر ما لبث أن عاد إلى أصله، وعادت النجف دار العلم والتدريس، على أن الحال لم تستقر بها استقرارا تاما، بل ظلت بين مدّ وجَزْر.. إلى أن جاء عهد وَرِثت فيه مدينة كربلاء كلا المدينتين: النجف والحلة. ويبدو أن السرّ في ذلك، هو أن كربلاء تجمع إليها ما في المدينتين؛ ففيها ضريح سيد الشهداء الحسين بن علي، وفيها الظلال والماء. وظلت كربلاء معهد الشيعة الأكبر، حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري. وبانتقال مهدي الطباطبائي، المعروف ببحر العلوم من كربلاء إلى النجف، استقرّ الأمر في النجف استقرارا كاملا، كان من أكبر دعائمه شخصية مهدي نفسه، بما تحلت به من سجايا وفضائل، جعَلت منه عالِما فذًا بين العلماء القادة. ثمّ أعقبه تلميذه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، فزاد الأمرُ إحكاما، وعادت النجف مدرسة الشيعة الكبرى، ومعهدهم الأول، ودار هجرتهم العلمية حتى اليوم. ١٤ .

تاريخ العرفان :

مدّعو العرفان يقولون انه يمكن ان تكون ظاهرة في كل مرحلة من مراحل الحياة الانسانية فكرا وسلوكا ، يشترك فيها والغني والفقير، وصاحب اي ملة سماوية فهو القاسم المشترك بين الأديان السماوية ، والارضية ، كما عند بعض الهنود ، "لفطرية الجهة العرفانية في الانسان ، فمنشأ العرفان الأصلي هو الفطرة الانسانية ، كما دلت عليه قصة بلعم بن باعوره التي حكى عنها القرآن ، فقد

كان أحد عرفاء زمانه ، إلا أنه قد وقع في مصائد الشيطان لعدم خلو نفسه تماما من شوائب "الأنانية" [١٥].

ولا يختص العرفان بدين دون دين آخر، لأن الدين باعتباره نظاما تشريعيا يبلور حياة معتنقيه ، فهو غير المعرفة التي هي الكشف الحقيقي لواقع النفس لذا قال سيد العارفين الامام علي« العارف من عرف نفسه » (نهج البلاغة) ، فبين الدين والعرفان عموم خصوص من وجه ، فبعض المتدينين عارف ، وليس كل عارف متدين ، والحال أن الدين طريق واضح يؤدي إلى العرفان ، لأن الدين يهدي إلى الزهد والزهد يهدي إلى عرفان النفس ، حقيقتها ولهذا قال الامام علي ع "من عرف نفسه فقد عرف ربه" [١٦] ، فإذا ما به اشتراك الأديان هو العرفان ، وما به تمايزها هو الدين من حيث التشريع .فجهة العرفان متجذرة في حياة الانسان وليست بأمرٍ جديد ابتدعه ، فالعرفان لسان وترجمان القلب ، فهناك عمق اللامتناهي فوق اللامتناهي في الانسان لا يناله إلا بكأس العرفان.

الغنوصية : Gnose : كلمة يونانية تعني 'المعرفة'، اصطلح الدارسون على استخدامها لوصف عدد من الحركات الدينية في العالم الروماني القديم، كثيرٌ منها لا صلة له على الإطلاق بالمسيحية. وهي تيار ومذهب فكري مُعقّد ذو فلسفات باطنية، بذل جهده لاكتساب المعارف الفلسفية الوثنية، مُهملا الوحي الإلهي كأساس لكل معرفة لاهوتية، ومُفسّرا إياها تفسيرا مجازيا خالطا بين النظريات الفلسفية الوثنية مع العناصر الذي نقلها مع العبادات الشرقية.

والغنوصية أو العارفية أو العرفانية Gnosticism هي مدرسة عقائدية أو فلسفية حلولية نشأت حول القرن الأول الميلادي ، ويعتقد البعض أن لها جذور وبدايات تعود

إلى القرون الثلاث الأخيرة قبل الميلاد في المجتمع السكندري لتبرير انتشار الديانة المصرية القديمة في الإمبراطورية الرومانية بجانب الديانات المحلية. أخذت الغنوصية طورا جديدا لدى ظهور المسيحية لإثبات تواؤم المعتقدين. وكانت لا تتعارض مباشرة مع الديانات التوحيدية كالمسيحية واليهودية ولكنها تم مقاومتها وقمعها من قبل الكنيسة منذ فترة مبكرة ١٧.

وقد يطلق على العرفان بالصوفية ، والعرفاء بالمتصوفة ، والصوفية هي : قول زكريا الأنصاري: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ١٨ .

وقول أبو الحسن الشاذلي: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية١٩ .

المبحث الثاني :

المطلب الاول : خصائص المدرسة النجفية الفقهية ، وادوارها.

لا يخفى ان للبيئة التي احتضنت هذه الحوزة تأثيرا كبيرا على تفكيرها ونتاجها ، فالنجف هضبة تقع على اطراف الصحراء ، الممتدة الى الجزيرة العربية ، وهي ارض منبسطة ، خالية من الجبال او الوديان ، كانت الحياة بها بدائية، تطل على الصحراء[٢٠] ، الا انها حاضرة مدينية . لا توجد بها حركات وافكار باطنية غنوصية ، ولم تتأثر بالفلسفات الاشراقية المسيحية والفارسية والهندية .ويعتمد اقتصادها على التجارة ، وتسمى بالغري [٢١].

المدرسة الحوزوية في النجف واثرها :

ساهمت المؤسسات العلمية في النجف بظهور العلماء الاعلام في الفقه ، واضحى المتخرجون منها يمثلون فئة اجتماعية مؤثرة يسمون(برجال الدين) وهذا التأثير لا يقتصر على المجتمع النجفي بل يمتد تأثيره الى العالم الاسلامي، لأنها مدينة العلم ومدرسة الفقه ومقر المجتهدين والمراجع العليا ، وللحصول على التحصيل الفقهي ، لا يتم ذلك الا من خلال الانخراط في الحوزة العلمية والتي تمنح ثلاثة القاب هي : حجة الاسلام ، لمن لم يبلغ الاجتهاد بعد واستطاع ان يستنبط الاحكام الشرعية . واية اللّه للذي بلغ الاجتهاد ، واية اللّه العظمى للمجتهد الذي صار مرجعا للتقليد ، تعد هذه الالقاب ضمن مراتب الاجتهاد . ولا يوجد منهج معين للدراسة تمكن الطالب الانتقال من مرحلة الى اخرى وعدم وجود مقياس للفحص الرسمي للمؤهلات المطلوبة، وقد تستغرق الدراسة اكثر من عشر سنوات . الا ان المهم في الامر حصول طالب الحوزة على الاعتراف من اعظم مجتهد يؤكد قابليته واهليته ليصبح بعد ذلك مؤهل لإصدار فتاوى ثم يتوجب عليه جمع اتباع ومريدين له ٢٢

ويلاحظ ان المدرسة الدينية لا تمنح القابا ، لمن بلغ درجة معينة في التفسير او علم الرجال او العقائد ، وليس لها اهتمام بالنواحي الاخرى المجاورة للعلوم الدينية كالعرفان والاخلاق والزهد والتصوف، والفلسفة ، وعلوم اللغة ، والادب ، علما ان هناك من الفقهاء الكبار ممن كانوا ينظمون الشعر ويتذوقونه، لكن الحوزة كمكان علمي لم تركز كثيرا على غير مباحث الفقه والاصول .

مراحل التطور في هذه المدرسة :

مرت المدرسة النجفية بأدوار عدة يمكن ذكر ابرزها:

١ـ مرحلة الشيخ الطوسي : الذي يعد مؤسس هذه المدرسة في القرن الخامس الهجري، بعد ان ترك بغداد ولجأ الى النجف ، عام ٤٤٨هـ ، ولحقه عدد من طلابه الى النجف (٢٥) بحر العلوم، الجامعة العلمية في النجف عبر أيامها الطويلة[٢٣] .

٢ -عصر الركود : تبدأ في الفترة ما بين وفاة الشيخ الطوسي وبدايات القرن العاشر الهجري، وقد ساعدت في الركود مجموعة من العوامل ، فبالرغم من نجاحات الشيخ الطوسي في مجالي الفقه والأصول وجهوده الكبيرة في الدفاع عن منهج الفقه التفريعي وإحكام قواعد الاستدلال والاستنباط والدعوة لها ٢٤ ، إلا أن عظمة شخصيته ومكانته العلمية هيمنتا على الوسط الشيعي، فمضت على علماء الشيعة سنون متطاولة وأجيال متعاقبة، ولم يكن من الهيّن على أحد منهم أن يعدو نظريات شيخ الطائفة في الفتوى، وكانوا يعدون أحاديثه أصلا مسلما، ويعتبرون التأليف في قبالها وإصدار الفتوى مع وجودها تجاسرا على الشيخ وإهانة له.

٣ -عصر المحقق الاردبيلي : تمكنت المدرسة النجفية من استعادة مكانتها واسترداد مجدها وريادتها العلمية في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، فطرأت عليها ظروف فاعلة ومؤثرة وساهمت فيها مجموعة من العوامل التي ساعدت على ذلك، من قبيل ما قام به الحكّام الصفويون من مدّ قنوات المياه إليها وتسهيل وصولها إلى ربوع المدينة، مضافا إلى الاهتمام بالجانب الأمني وبناء القلاع والأسوار المحيطة بالمدينة٢٥. قد كان للمولى أحمد الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ والشهير بالمقدّس والمحقق الأردبيلي الدور الكبير في التطوير العلمي والازدهار المعرفي في أوساط المدرسة النجفية، وخاصّة بعد رواج منهجه الفقهي القائم على تتبع جميع زوايا

الأحاديث والاهتمام بصحيحة السند منها ـ وإن كان العلماء القدامى قد أعرضوا عنها وأهملوها ـ والاعتماد عليها، حتى لو كانت النتيجة المستوحاة منها مخالفة لمشهور العلماء، الأمر الذي مكّنه من استقطاب الكثير من الطلاب والفضلاء إلى حلقة درسه٢٦ .

الاخباريون : شهدت المدرسة النجفية في العقد الرابع من القرن الحادي عشر ظهور المدرسة الإخبارية، التي رفع لواءها الميرزا محمد أمين الأسترآبادي المتوفى سنة ١٠٣٣ ه ، وكان قد تتلمذ في النجف على يد كلّ من صاحب المعالم وصاحب المدارك وحصل منهما على إجازة في الرواية. وقد وجّه في كتابه "الفوائد المدنية" الذي صدر سنة ١٠٣٠ هـ نقدا لاذعا للمنهج الفقهي والأصولي المعتمد والقائم على تراث الشيخ الطوسي ، واتهم كبار الطائفة ومجتهديها بالانحراف عن طريق الأئمة من أمثال ابن الجنيد الإسكافي وابن أبي عقيل والشيخ المفيد والسيّد المرتضى والشيخ الطوسي فضلا عن العلامة الحلي، فوجّه إليهم البدعة والعمل بالقياس واعتماد قواعد الكلام وأصول الفقه القائمة على معطيات العقل البشري٢٧ .

القضاء على الحركة الاخبارية :

كان "للأصولي الشهير محمد باقر بن محمد أكمل الشهير بالوحيد البهبهاني المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ دورا بارزا في التصدّي للحركة الإخبارية التي أخذت تتسع رقعتها في النجف وكربلاء بحيث بلغ بها الأمر ـ قبل انتقال الوحيد البهبهاني إليها ـ إلى أنّ من يريد أن يمسك كتابا للأصوليين يخشى التنجّس به فيمسكه بخرقة، مبالغا في نجاستها، وذلك على حد تعبير تلميذ البهبهاني أبو علي الحائري المتوفى سنة ١٢١٦ هـ[٢٨] ، إنّ الحركة التي قادها البهبهاني في كربلاء أثمرت في النجف،

مع قدوم تلميذه محمد مهدي بن مرتضى الشهير ببحر العلوم والمتوفى سنة ١٢١٢ هـ، وقد تخطت الحوزة النجفية تلك المرحلة، وتجاوزت التقلبات التي حصلت في العصر الإخباري وصولا إلى مرحلة جديدة [٢٩] .

عصر الازدهار :

يمكن تحديد عصر الازدهار بالفترة ما بين القرن الثالث عشر وبدايات القرن الخامس عشر الهجري. وقد بدأت ملامح هذا العصر بالظهور مع الحركة الفكرية التي قام بها العلامة بحر العلوم بالتزامن مع كبار علماء وفقهاء مدرسة . فقد بذل تلامذة الوحيد البهبهاني ومدرسته، جهودا كبيرة في الإجابة على الشبهات التي أثارها النهج الإخباري وإثبات ضرورة البحث الأصولي ومكانة القواعد الأصولية في عملية الاستنباط ٣٠

في تاريخ هذه المدرسة ، يلاحظ ان المؤرخين عادة ما يذكرون السادة المجتهدين كفقهاء ، ومجددين في الفقه والاصول ، وحتى الاخباريين هم يتبعون المدرسة الفقهية التي تعتمد الحديث الشريف بالدرجة الاولى في استنباطاتها الفقهية . ولم نجد تاريخا مفصلا يجمع مواقفهم السلوكية الروحية في حياتهم ، مع علومهم الاخرى ، وتأثير هذه السلوكيات على الاستنباط او تأثير الانعزال في انتاج معرفة فقهية معينة، الا بعض الشذرات هنا وهناك . واخيرا وجدنا مصنف السيد حسن القبانجي طبع مؤخرا في ثلاث مجلدات ٣١ .

المبحث الثاني

المطلب الثاني : خصائص مدرسة العرفان :

المدرسة العرفانية بين الرفض والقبول:

"حاول العلامة السيّد محمد حسين الطباطبائي (١٩٨١م) أن يشرعن العرفان من زاوية النص الديني في كتابه «رسالة الولاية» ، تماما كما حاوله بإيجاز تلميذه الشيخ مرتضى المطهّري في كتابه «الإسلام وإيران» ــ ليحشد شواهد على هذا الموضوع، في خطوة تسعى لمواجهة تيار النص الذي كان يصارعه الطباطبائي في إيران وتواجهه المدرسة العرفانية في العراق أيضا، حيث الحواضر العلمية الدينية للشيعة، متمثلا في بعض المرجعيات الفقهية" [٣٢] .

عدّ فريق من المحدثين والفقهاء الذين يمثلون التيار النصيّ الاتجاه الصوفيّ والعرفانيّ خارجا عن الإسلام بالمرّة، وأجنبيا عن الثقافة الإسلاميّة، في محاولة تشبه في نتيجتها ما قاله التيّار الاستشراقي عن العرفان والتصوّف، وفقا لما يقوله الشهيد مرتضى مطهّري [٣٣] .

الرفض لمدرسة العرفان : "كانت مدرسة العقل من زاوية الشرعية المعرفية قد وجهت سؤال هو السؤال الرئيس الذي وجّهته المدرسة العقلية وغيرها، للعرفان الإسلامي، والاتجاه الصوفي، سؤال معرفي: إلى أيّ مدى تحظى المعطيات العرفانية بمصداقيّة ؟ ومن أين تستمد مدرسة العرفان تلك المصداقية التي تضفيها على معطياتها؟"٣٤ . حاولت مدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتالهين (صدر الدين الشيرازي ت (١٠٥٠هـ) ، الاجابة عن هذا السؤال . فإن ما فعلته هذه المدرسة وغيرها من فلاسفة العرفان، كان محاولة للبرهنة ــ فلسفيا ــ على المعطى العرفاني المنكشف قلبيا وروحيا، وبهذا تمّت عقلنة العرفان في نتائجه، أي أخضعت تلك

النتائج لأدوات التشريح العقليّة والفلسفية، لينكشف البُعد الصادق فيها، ويتمّ التأكّد من جدواها عقليا ٣٥ .

وهنا يتساءل حب اللّه عن هذا المعطى : فاذا كان اتجاه عقلنة العرفان بهذا المعنى، قد بدأ منذ قرون، فإن ثمّة حاجة شديدة ثانية لعقلنة العرفان من الزاوية المعرفية، فليست الحاجة فقط أن نستلّ من تجارب العرفاء معطيات هي في روحها وجوديّة، لكي نقوم بصوغها فلسفيا ضمن منظومات من التصوّرات المعقولة والمفاهيم العقلانية، بل إن الأمر يتعدّى ذلك إلى دراسة الظاهرة العرفانية نفسها بوصفها منهجا وأسلوبا، بغية التحقّق من جدوى الاعتماد عليها أداة لكشف الواقع وإدراك الحقيقة بنوع من أنواع الإدراك، إن مجرّد تحويل المعطى / النتيجة إلى مفهوم عقلاني قابل للبرهنة عليه فلسفيا، لا يبرّر ـــ دائما ـــ صحّة المنهج الذي قدّم لنا هذا المعطى، خصوصا وأن هناك خلافا واسعا في عدد كبير من المعطيات العرفانيّة٣٦ ، فليست الحاجة فقط أن نستلّ من تجارب العرفاء معطيات هي في روحها وجوديّة، لكي نقوم بصوغها فلسفيا ضمن منظومات من التصوّرات المعقولة والمفاهيم العقلانية، بل إن الأمر يتعدّى ذلك إلى دراسة الظاهرة العرفانية نفسها بوصفها منهجا وأسلوبا، بغية التحقّق من جدوى الاعتماد عليها أداة لكشف الواقع وإدراك الحقيقة بنوع من أنواع الإدراك، إن مجرّد تحويل المعطى / النتيجة إلى مفهوم عقلاني قابل للبرهنة عليه فلسفيا، لا يبرّر ـــ دائما ـــ صحّة المنهج الذي قدّم لنا هذا المعطى، خصوصا وأن هناك خلافا واسعا في عدد كبير من المعطيات العرفانيّة٣٧ .

ان العارف نفسه قد تشتبه علية الامور ، فما يعده كشفا ، قد يكون هو تداعيات للعقل الباطن ، وهذا الشكل بحد ذاته لا يجعل المنهج صحيحا، ويجعل الطاهرة

ذاتها في موضع شك . "وإذا كان العرفاء، قد أقرّوا بإمكان التباس الأمر على السالك نتيجة ما يسمّى عندهم بالالتباسات الشيطانيّة، أو ما يعبّر عنه ابن خلدون (٨٠٨هـ) بقوله: «إنّ هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة» ٣٨ ، فإنّ السؤال يغدو أكبر حتى بالنسبة للعارف نفسه، عندما يستعيد قراءة تجربته بلغة داخلية عقلانية، إذ أنى له أن يجزم ـــ موضوعيا ـــ بصحة ما توصّل إليه، وأنه ليس وهما أو خيالا؟"٣٩ . في "العلوم البشرية العقلية ونحوها، يوجد ما يرشد العالم إلى معيار يزنها بها، كما هي الحال في العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية الوجوديّة، ما يفسح المجال للدارس بإعادة تقييم ما تلقاه من قبل، بيد أن هذا المعيار غير واضح في المناخ العرفاني ما دامت الذاتية في اليقين، والتي يسمّيها المنطق العرفاني بالشهود والعلم الحضوري، هي الحكم، لا المعايير الموضوعية التي يراها العقل، إن التداول الواسع للنشاط العقلي يجعل مرجعيّة العقل أقرب إلى الواقعية، وإنّ كون العرفان حالة غير عامّة ـــ كما يقول العلامة الطباطبائي٤٠.

معركة العقل مع العرفان :

اهل العرفان يردون على العقل في تساؤلاته :" بواسطة ادّعاء أنّ ثمة شيء وراء طور العقل يدركه القلب، وحينما يتساءل العقل عن معنى الإدراك القلبي أو يحاول التشكيك من منطلقاته الموضوعية، وهو تشكيك محايد، يسعى التيار العرفاني لصفعه بالقول: إن عالمك سافل أو ظاهري أو.. وأنّ ما عندنا أسمى من ذلك بكثير.إن مجرّد توقف العقل لا يعني شرعية النتاج العرفاني، بل يعني عدم الدليل على عدم الشرعية، والفرق بين الأمرين هام وأساسي، إنّ العارف محقّ أوليّا في مطالبة غيره

بعدم الإنكار، كما ركّز على ذلك الإمام الخميني في «الآداب المعنويّة للصلاة» ٤١ وغيره .

لكن لا يحقّ له استغلال سكوت العقل للتفلت من ضوابط، أو اعتبار سكوته دليلا على صوابه."٤٢سيبقى العقل ينظر الى كون هذه النتائج أو الحالات حالات نفسية أو عصبية محضة ، أو أنها خيالات وأوهام و. و سيبقى من يعيش هذه الحالة في نشوة اليقين الذاتي التي تجعله غير آبه بكلّ المعطيات العقلية. ويقولون بعدم جدوائية الجهود العقلية في معرفة الحقائق ، وهي ثقافة عرفانية سائدة.

انواع العرفان :

يقسم العرفان الى نظري والى عملي:

العرفان العملي : يعنى بالسير والسلوك ، بشكل خاص للوصول الى الكمال الانساني ، ان محور هذا القسم من العرفان هو الاعمال القلبية والباطنية . وهو " مجموعة من القواعدوالقوانين المرتبطة بأعمال القلب وحالاته (الرياضات) في قالب المنازل والمقامات التي يؤدي اتباعها للحصول على الكمال النهائي للانسان (التوحيد ومقام الفناء ومشاهده الحق)[٤٣]

اما العرفان النظري : ينظر الى المعارف التوحيدية ، وو" التعبير عن الحقائق والمعارف التوحيدية ، اي الوحدة الشخصية للوجود ولوازمها ، التي يصل اليها العارف[٤٤] "

بعض اقوال العرفانيين :

١ –في التكليف:

يعدون جميع العبادات والعقائد صحيحة ، سواء كانت وثنية او دنيوية او دينية ،وكما يقول ابن عربي : "فالكل مصيب لأنه من المطلق الحق ، فلكل حظ ونصيب وكل مصيب مأجور ، وكل مأجور سعيد ، وكل سعيد مرضي عنه".[٤٥] ويقولون ان كل الخلائق لا تعبد غير الحق في مختلف صوره وتجلياته ،وكما يقول الجيلي في تفسيره للآية القرانية : {.. لا إله إلا أنا } طه : ١٤ هو انها تعني بان "الالهة المعبودة ليست الا انا ، فأنا الظاهر في تلك الأوثان والافلاك والطبائع وفي كل ما يعيده اهل كل ملة و نحلة ، فما تلك الالهة الا انا "[٤٦] .

٢ –التوحيد والشرك : بحسب الرؤية العرفانية فإن الوجود واحد حيث يتعدد بالصور المختلفة ، والشرك عند العرفاء عبارة عن اثبات التعدد بالوجود ، فإن من يرى الوجود عبارة عن حق وخلق ، وأنه ينزه الحق عن الخلق ، فانه يثبت اثنين في الوجود ، ويكون بهذا مشركا، اي جاعل الحق ثاني اثنين ، وهذا هو كفره او ستره للوحدة الحقيقية . فالمنزه كالمشبه كلاهما واقعان بأثبات الاثنينية ومن ثم الشرك والكفر بستر الوحدة الحقيقية ، فهو كمن قال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وهكذا[٤٧].

المبحث الثاني:

الفتاوى الفقهية تجاه العرفان ، في مدرسة النجف المعاصرة :

ذهب كلا من السيد علي السيستاني (دام ظله) المرجع الاعلى في هذه المدرسة ، والشيخ اسحاق الفياض ، والسيد محمد سعيد الحكيم ، والسيد كاظم الحائري والسيد صادق الشيرازي ، الى عدم جواز اتباع العرفان والتصوف كمذهب ، وطريقة السلوك للوصول الى معرفة الله[٤٨] .

١ – يقول الشيخ الفياض : "العرفان بمعنى كشف الحقائق ورفع الستار عن الحقائق كما هو مصطلحهم بمعنى كشف الحقائق والعلم بالغيب مجرد وهم ولا حقيقة له ولا واقع له وخلاف النص لقوله تعالى (لا يعلم الغيب الا الله ... "[٤٩]

(وعنده مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ والبحر) الأنعام[٥٩]

٢ –اما السيد محمد سعيد الحكيم حين سئل عن العرفان فأجاب : هذه ألفاظ تبتني على دعاوى لا برهان عليها ، ولا تستقي من معارف أهل البيت (عليهم السلام) بوجه يصلح الاحتجاج عليه ، فاللازم الحذر ممن يدعي ذلك ، فإنهم بين مغفل مغلوب على أمره ومضلل مفتر يخشى منه على الدين والمؤمنين ، وربما يصل بهم الأمر إلى تحليل المحرمات وانتهاك الحرمات ، كما وصل إلى ذلك غيرهم وإنا لله وإنا إليه راجعون ، فإنه لا سوق لهذه الدعاوى إلا بين الناس البعيدين عن المعارف الحوزوية الأصلية ، بسبب ضعف الحوزة وقلة الممثلين الصحيحين لها"[٥٠] .

٣ –راي السيد السيستاني(دام ظله) اما راي المرجع الاعلى عن الامر ذاته حين سئل عن العرفان وسلوك بعض الناس للوصول الى الحقائق ، فكان جوابة على شكل بيان ، اختصرت النقل منه كالتالي :

"واننا نوصي عامة المؤمنين وفقهم الله تعالى لمراضيه بالتثبت وعدم الاسترسال في الاعتماد على مثل هذه الدعاوى ، فان هذا الامر دين يدان الله تعالى به، فمن اتبع امام هدى حشر خلفه وكان سبيله الى الجنة ومن اتبع ضلال حشر معه يوم القيامة وساقه الى النار وليتأمل الجميع في هذا حال من كانوا قبلهم كيف وقع الكثير منهم في الضلال لاتباع امثال من ذكر، نسأل الله تعالى ان يجنب الجميع البدع

والاهواء ويوفقنا للعمل بشرعه الحنيف مقتدين بسيرة العلماء الربانيين انه ولي التوفيق" [٥١] .الا ان السيد السيستاني ، لا ينكر تزكية النفس وتهذيبها وهذا هو العرفان الممدوح ، وقد عمل به العلماء الربانيون فيقول ":

لا شك في انه ينبغي لكل مؤمن العناية بتزكية النفس وتهذيبها عن الخصال الرذيلة والصفات الذميمة وتحليتها بمكارم الاخلاق ومحامد الصفات استعدادا لطاعة اللّه تعالى وحذرا من معصيته، الا ان السبيل الى ذلك ما ورد في الكتاب العزيز والسنة الشريفة من استذكار الموت وفناء الدنيا وعقبات الآخرة من البرزخ والنشور والحشر والحساب والعرض على اللّه تعالى، وتذكر اوصاف الجنة ونعيمها واهوال النار وجحيمها وآثار الاعمال ونتائجها، فان ذلك مما يعين على تقوى اللّه سبحانه وتعالى وطاعته والتوقي عن الوقوع في معصيته وسخطه كما اوصى به الانبياء والاوصياء عليهم السلام وعمل به العلماء الربانيون جيلا بعد جيل، وهذا طريق واضح لا لبس فيه، ولا عذر لمن تخلف عنه، وانما يعرف حال المرء بمقدار تطابق سلوكه مع هذا النهج وعدمه، فان الرجال يعرفون بالحق ومن عرف الحق بالرجال وقع في الفتنة وضل عن سواء السبيل" [٥٢] . يجيب الشيخ حيدر حب اللّه، على تحفظ المراجع على العرفان بقوله "إن مظاهر الفوضى التي شهدتها الساحة الإسلامية، قديما وحديثا، بحجّة المنحى العرفاني، والتلاعب المتعمّد وغير المتعمّد بعقل الناس ووعيها، هو ما يجعلنا متحفّظين إلى هذا الحدّ، إنّ فوضى الادّعاءات، واختلاق الخلايا، وتجاوز المنطق والشريعة، والهرطقة بأفكار لا معنى لها من جانب البعض، والكذب والدجل المتعمّد من جانب آخرين، والتوهّم والخيال الزائد من جانب فريق ثالث.. ذلك كله يساعد اليوم أيضا على خلق نتوءات في المجتمع تربكه،

وتعيد فيه معالم النكوص، ومظاهر عصر الانحطاط، ذلك كله بحجة أنّ العقل لا شأن له بهذا العالم، وأن الفقهاء وعلماء الشريعة وأصحاب الاختصاصات الإنسانية والطبيعيّة سطحيّون ظاهريّون لم يطعموا من لذيذ العرفان شيئا؛ فلا يحقّ لهم الحديث أو حتى النبس ببنت شفة." [٥٣].

المطلب الثاني : العرفان السلوكي في مرجعية النجف :

يلاحظ المتتبع لسيرة اغلب الفقهاء الكبار في مرجعية النجف الاشرف ، انهم كانوا اصحاب عرفان سلوكي عملي واخلاقي ، وان اغلب التحفظات كانت ترد على العرفان النظري ، الذي يبتعد كثيرا عن الظاهر، والطريق العقلي الاصولي للوصول الى الحقائق الشرعية ، اما العرفان السلوكي العرفاني فقد اشتهر به شخصيات علمائية كثيرة مثل السيد اية الله محمد حسين الحسيني الطهراني الذي تأثر بالسيد هاشم الحداد والسيد علي القاضي ، ومحمد حسين الطباطبائي(الشمس المنيرة، السيد محمد محسن الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت الطبعة الأولى:١٤٢٧ هـ) ، وقد درس في حوزة النجف الاشرف وتتلمذ على ابرز علمائها. كالسيد الفقيه حسين الحلي وغيرهم .

ونلاحظ في هذا النص ما اخذه السيد الطهراني من الاخرين في السير والسلوك الاخلاقي بلا تحفظ يذكر من قبل المعاصرين له ، وهذا يدلل على مقبولية السلوك العرفاني الاخلاقي الذي لا يؤثر على المعارف الشرعية العقلانية والظاهرية .

" لقد كان العلامة الطهرانيّ في معاشرته ومصاحبته لا يتجاوز أعلام أهلِ العرفان والسلوك إلى الله ومتميّزيهم، الجامعين بينَ الطريقين الظاهريّ والباطنيّ، ممّن همْ متبحّرون في كلتا الجهتين: الشريعة والطريقة، كالعلامة الطباطبائي ، الفيلسوف والحكيم على الإطلاق والعارف الواصل، وكذلك المرحوم آية الله الحاج

السيد جمال الدين الموسوي الكلبايكاني، والمرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد جواد الهمداني الانصاري، والمرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي، والمرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس هاتف القوجاني، وكذلك كان بالنسبة إلى بعض تلامذة المرحوم القاضي ، ومن طرفٍ آخر، كان لديه علاقة بالأساتذة البارزين الحوزويين في جميع الفنون، ومن مختلف الأنظار والآراء، ممّا أوجبَ له حصول نضوجٍ وتبلوُرٍ وجامعيّة في مُدركاته وتبَصّرهِ وتعَمّقه في جوهرِ التشريع وأصوله، ومنهاج حضرةِ المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ومسلكهم، جامعيّة متميّزة، تبتني على محوريّة المعرفة والحق واليقين، وبلوغ نفس الأمرِ بتمام معنى الكلمة، والعملِ على أساس ذلك، والالتزام به في مختلف الظروف، دون أدنى تسامح أو تهاون، أو مجاملة نابعة من الكثرات الضالة والمضلة، وبعيدا عن منافع الأفكار الفاسدة" ٥٤ . وقد اثر السيد الطهراني في ابرز الفقهاء في ايران السيد مرتضى المطهري ٥٥ .

المبحث الثالث :ابرز النماذج العرفانية في مدرسة النجف :

يرى الباحث في تاريخ مدرسة النجف ، بعض النماذج العرفانية ، المعتدلة التي لا تجعل من الكشف والشهود القلبي الاساس المعرفي في الاحكام الفقهية التي تصدر الى المقلدين ، بل يراعون الاصول المتبعة لاستنباط الحكم الشرعي . سنذكر هنا مثال او مثالين لعلماء اجلاء كانت لديهم محاولات عرفانية معتدلة

الاول : السيد المجتهد علي القاضي : الذي يعد من ابرز المراجع العرفانيين في مدرسة النجف الاشرف والذين كتبوا في العرفان وكانوا من المجتهدين . هو علي القاضي الطباطبائي (١٢٨٥- ١٣٦٦ هجرية / ١٨٦٨ - ١٩٤٦ ميلادي) ، هو عارف و

فيلسوف ومفسر ومرجع ديني أصله من تبريز، عاش أغلب حياته في النجف الاشرف، وكان أستاذا للأخلاق والسير والسلوك، تتلمذ على يديه العديد من العلماء والمراجع، ومنهم محمد البهاري و أحمد الكربلائي، وغيرهما. عمل بالتدريس في الحوزة العلمية. توفي في النجف ودفن فيها في مقبرة وادي السلام وهو: الميرزا علي بن الميرزا حسين بن الميرزا أحمد بن الميرزا رحيم القاضي الطباطبائي التبريزي الملقب بـ قاضي الطباطبائي. ولد سنة ١٢٨٥ هجري قمري في مدينة تبريز، وقد نشأ في أسرة علمية موسومة بالفضل والاحترام.هاجر الى النجف عام ١٣١٣هـ. وحضر درس كل من الفاضل الشربياني، والشيخ محمد حسن المامقاني، وشيخ الشريعة الاصفهاني، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والميرزا حسن الخليلي.[٥٦]

"وبعد ان انهى دراساته العلمية في الفقه والاصول اتجه تزكية نفسه بشكل كامل برعاية ثلة من عرفاء عصره، وعلى رأسهم السيد مرتضى الكشميري الذي تتلمذ على يديه عشر سنوات والسيد احمد الكربلائي الذي قضى معه سنوات عديدة في مناهج السلوك والشيخ محمد البهاري وكلاهما من تلاميذ حسين قلي الهمداني الذي ينسب مجموعة من عرفاء النجف الاشرف وفي غضون عدة سنوات طلب منه السيد احمد الكربلائي ان يتولى معه تربية تلاميذه. وطبعا السيد القاضي كان قد امضى فترات طويلة قبل مجيئه الى النجف الاشرف في تزكية نفسه. وكان والده قد امره في اوائل شبابه ان يحضر عند استاذ الاخلاق العارف {امام قلي النخجواني} في تبريز، عدة ساعات في اليوم. وكان استاذه الذكر هو الذي وضع حجر الاساس في البناء العرفاني لشخصية السيد القاضي"[٥٧].

عبادته :

كان السيد يتخفى بعبادته عن الأعيُن ،الا في اداء الفرائض التي كان يأتي بها جماعة مع صفوة تلاميذه البالغين من السبعة الى العشرة اشخاص في منزله أو في احدى غرف المدارس الدينية ، واما اعماله العبادية الاخرى فقد كانت له غرفة في مسجد الكوفة يتبعد بعد الساعة الثانية عشر ليلا حينما تهدأ العيون ويغط الطلبة الساكنون في النوم فيبدأ السيد القاضي مناجاته ومزاولة اوراده واذكاره بصوته الجميل الذي يأخذ بقلوب من يصغي اليه. ٥٨ .كان المرحوم القاضي آية عجيبة بلحاظ العمل، فأهل النجف ـ و خاصة أهل العلم منهم ـ يمتلكون عنه قصصا و حكايات، و كان يعيش في غاية الفقر والفاقة مع عائلة كبيرة، لكنه كان غارقا في التوكل و التسليم و التفويض و التوحيد بحيث ان هذه العائلة لم تحرفه عن مسيره قيد شعرة.

كان للمرحوم القاضي اليد الطولي في تفسير القرآن الكريم و معانيه، و كان المرحوم أستاذنا العلامة الطباطبائي يقول: لقد علمنا المرحوم القاضي هذا النحو من التفسير آية فآية، فنحن نقتفي اثره و نهجه في التفسير. كما كان يمتلك ذهنا متفتحا مضاءا في فهم معاني الروايات الواردة عن الائمة المعصومين، حيث تعلمنا منه طريقة فهم الاحاديث التي تدعي بفقه الحديث.

و كان المرحوم القاضي في تهذيب النفس و الاخلاق و السير و السلوك في المعارف الالهية و الواردات القلبية و المكاشفات الغيبية السبحانية و المشاهدات العينية فريد العصر و حسنة الدهر و سلمان الزمان و ترجمان القرآن ٥٩.

ثانيا : السيد عبد الاعلى السبزواري (قدس) :

هو السيد عبد الاعلى بن العلامة السيد علي رضا بن السيد عبد العلي الموسوي السبزواري ، ولد في سبزوار خراسان في ايران ، ١٣٢٩هـ، نشا في احضان الفضيلة والعرفان ٦٠

، نشأ وترعرع في كنف أبيه وتحت رعايته فتعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة ثم درس الأوليات في النحو والصرف والمنطق وبعض المتون الفقهية حتى أكمل مرحلة السطوح؛ عند ذلك قرر والده إرساله إلى مدينة مشهد لإكمال دراسة السطوح كما درس العرفان والتفسير عند الشيخ حسن علي الاصفهاني النخودكي ثمّ هاجر إلى مدينة النجف لإكمال دراسته الحوزوية، وأخذ يحضر دروس أساتذتها المعروفين محمد حسين النائيني، وضياء الدين العراقي، ابو الحسن الاصفهاني، ثمّ استقلّ بتدريس البحث الخارج في الفقه الأصول في مسجده الذي كان يقيم فيه صلاة الجماعة بمحلة الحُويش في النجف والف في اثناء ذلك موسوعته الفقهية مهذب الاحكام وهي من أكثر الموسوعات الفقهي معالجة ومفسرة للنصوص الدينية بطريقة وفهم عرفي ووجداني وهو ما يعبر عنه في مصطلح الدراسات التقليدية في الحوزة الذوق الفقهي حيث كان اية اللّه السبزواري صاحب رؤية وذوق فقهي عالي انعكس على موسوعته وسائر تصنيفاته وفي عرض ذلك كان له دروس في التفسير والفلسفة فتخرّج على يديه العديد من الفضلاء واصبح من كبار مراجع الشيعة والمفسرين حيث يعد تفسيره مع تفسير الميزان في الصدارة من تفاسير الشيعة ويعد السبزواري من رموز علماء العرفان والاخلاق الشامخين وله كرامات كثيره يتناقلها الناس ومذكورة في بعض الكتب وقد كتبت دراسات كثيره عن حياته واخرى ماجستير ودكتورا عن منهجه الفقهي والأصولي والتفسيري وقد طبعت كلها واخيرا قامت العتبة العلوية المقدسة بطباعة احدها وقد اقيمت له

مؤتمرات علميه في النجف من قبل كلية الفقه وفي قم وسبزوار من قبل الحوزة العلمية واصدرت الهيئة المشرفة على المؤتمر تسعة مجلدات متعلقة بحياة وفكر ومنهج السبزواري في موسوعاته الفقهية والأصولية والتفسيرية ٦١ .

الخاتمة وخلاصة البحث :

ان مدرسة النجف لا تحرم العرفان بصورته العملية المعتدلة، الذي يحث على الزهد ونقاء القلب والسريرة، وعيش الحياة الروحية الصافية ، وتاريخ المراجع بالنجف حافل ، بهذه الصور المعتدلة ، الا ان المدرسة الفقهية لا تعترف بالكشف والشهود لاكتساب الحقيقة الشرعية ، كما لا تعترف بالتفسيرات البعيدة لآيات القران الكريم ، والاحاديث الشريفة ، فهي لا تؤمن بالباطنية في التأويل والعبور من الظاهر الى الباطن ، والاسقاطات النفسية والاعتبارية على النصوص . هذه المدرسة تؤمن بالربط المحكم والمنضبط بين المقدمات والنتائج ، بينما المنظومة العرفانية تقفز الى النتائج لادنى سبب ، وان كانت تدعي الكشف وانه عملية برهانية خاصة .

الملخص :

الجميع يعرف ان مدرسة النجف الفقهية الحوزوية هي مدرسة اصولية عقلية في الغالب ، وان لديها ضوابط صارمة للاجتهاد الفقهي، و لديها تقاليد عريقة للبحث الاصولي والفقهي ، وهي مدرسة تعنى في الاساس بهذا الجانب ، الا ان ذلك لا يعني انها قد انعدمت فيها المشارب السلوكية ،او الطرق الروحية ، للوصول الى معرفة اللّه وعبادته بالوجه الحق ، وسلوك الطرق الخاصة بالزهد والتعفف ، والتنسك والاعتكاف من اجل التعلم والعبادة ، بل ان اغلبية المراجع الكبار في حوزة النجف هم من الزهاد الورعين عما في ايدي الناس، وبهرجة الحياة ، وغالبا مايعيشون شظف العيش ، والابتعاد عن البهرجة والفخامة في المسكن والملبس.

من هنا يتناول هذا البحث موقف هذه الحوزة من علم العرفان ، وما هو المذموم منه ، وما هو خارج نطاق الشريعة ، والدين الاسلامي ، وما هو مقبول منه. و علاقة العرفان بمذهب اهل البيت، واسباب انتشاره في قم ، بدلا من النجف ، وما الاسباب التي دعت اغلب المراجع الى تحريمه، ولا يعدونه مذهبا صحيحا. وهل يمكن حدوث تغيير في هذه النظرة اذا ما تغيرت مفاهيم العرفان الى النوع المعترف به اسلاميا . ودراسة انموذج عرفاني نجفي حديث يمكن ان يبين لنا ـ كقراء ـ الصفات التي يتحلى بها العرفان النجفي ، ومدى اختراقه للمنظومة الكلامية الرسمية للحوزة العلمية في النجف .

اسباب البحث : كثرت في الآونة الاخيرة في الاوساط الشبابية والثقافية ومواقع التواصل الاجتماعي نزوع نحو قراءة الادبيات الصوفية والعرفانية ، وانتشار الموسيقى وحلقات الرقص المولوي ،يكاد يكون اكتساحا للساحة الدينية ، وصارت هناك تساؤلات عدة عن موقف المدرسة الامامية من العرفان ، وبالذات الحوزة النجفية ، التي يلاحظ عليها غياب مظاهر العرفان كما يفهمه البعض.

فرضية البحث : ان المدرسة الامامية النجفية قد ميزت بين نوعين من العرفان ، فبحسب تعريف العرفان لدى جماعة ما ، يتم اصدار الحكم علية ، فهناك عرفان ممدوح وعرفان مذموم، . وهناك عرفان نظري وعرفان عملي سلوكي اخلاقي والنوع الثاني لايتعارض مع المدرسة الاصولية العقلية

من هنا جاء البحث على مباحث ثلاثة :

الاول : التحديدات المصطلحية والتعريف بالمدرسة النجفية ، والمدرسة العرفانية مع عرض تاريخي مبسط لكل منهما .

الثاني : خصائص المدرسة الاصولية النجفية ، وادوارها.

وخصائص المدرسة العرفانية ، وذكر انواعها المتطرفة والمعتدلة وذكر الفتاوى بحقها .

الثالث : نموذج نجفي عرفاني ، حديث ، والحراك الاجتماعي المعاصر وانتشار التدين العرفاني على حساب التدين الفقهي التشريعي، التقليدي.

الخاتمة ونتائج البحث

ثم المصادر والمراجع والهوامش.

علما ان البحث هو اشارات سريعة وعاجلة ، لموضوع واسع ، يمكن ان يرسم لنا ملامح التميز في مدرسة النجف الفقهية ، ومالها وما عليها.

الهوامش والمصادر:

---

(١) ظ: ويكيبديا، النجف .

(٢) ظ : الجوهري ، الصحاح ، مادة فقه . .

(٣) ظ : الحكيم ، محمد تقي ، الاصول العامة للفقه المقارن ، تعريف الفقه. .

(٤) قاموس المعاني/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar حوزة/

(٥) ويكيبيديا .

(٦) قاموس المعاني/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar حوزة / .

(٧) الحيدري ، كمال ، العرفان الشيعي: ن : مؤسسة الامام الجواد ع للفكر والثقافة، ٢٠١١،قم ، ص١٢ .

(٨) اليزدي ، محمد تقي مصباح رسائل القيصري ، رسالة التوحيد والنبوة، تر: محمد عبد المنعم الخاقاني ، دار الحق ، قم ،ص٢٠-٢١..

(٩) https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=٢٦٩٣١٣- .

(١٠) بنية العقل العربي : دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤ ، بيروت ،١٩٩٢، ص٢٥٣..

(١١) (ظ: المطهري ، مرتضى ، الفرق بين الاخلاق والعرفان، العرفان ص١٥-١٧)

(١٢) م.ن

(١٣) ويكيبديا .

(١٤) https://ar.m.wikipedia.org/wiki/.

(١٥) https://www.google.com/amp/s/ruhaniyaa.wordpress.com/٢٠١٤/١١/٢٢/دروس-العرفان-٢/amp/.

(١٦) نهج البلاغة.

(١٧) https://www.marefa.org/ غنوصية .

(١٨) هوامش على رسالة القشيري، ص ٧ .

(١٩) حامد صقر ، نور التحقيق ، ص٩٣. .

(٢٠) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب،ط٢ ،(بيروت ١٩٧١) ،ص ٩٤..

(٢١) ظ : شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ،(بيروت ١٩٧٧)،ص١٣١؛وكذلك جمال بابان ، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية،ج١، (بغداد١٩٦٥) ،ص٣٠٠.

.

(٢٢) بيل ، م س ،ص ٩٢ . كذلك : ظ : عبد الله ، حسن علي (الدكتور) ، موقع جامعة القادسية http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/٢٠١٦/١١/Copy-of-مساهمة المرتكزات النجفية في استقرار الحوزة العلمية doc..

(٢٣) شمس الدين، محمد رضا، ص ٦٧-٦٨ .

(٢٤) محمد بن حسن الطوسي، المبسوط في فقه الامامية، ، ج ١، ص ١- ٣.

(٢٥) احمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف ، ص ٧٣٢.

(٢٦) حسن الصدر، تكملة أمل الآمل، ج ١، ص٩٨، ٣٢١.

(٢٧) ظ: الاسترآبادي، الفوائد المدنية، ص ٣٧، ٧٨، ٩٦.

(٢٨) المازندراني الحائري، منتهى المقال في أحوال الرجال، ج ٦، ص ١٧٨ .

(٢٩) ظ: الأمين، أعيان الشيعة ج ١٠، ص ١٥٨ ـ ١٦٣.

، كذلك/http://ar.wikishia.net/view : حوزة_النجف_الأشرف.

(٣٠) ظ: بحر العلوم، الجامعة العلمية في النجف عبر أيامها الطويلة، ص ٨٠.

(٣١)حياة الفلاسفة و العرفاء ، نشر الكلية الاسلامية الجامعة عام ٢٠١٦ في النجف ، ومؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٤

(٣٢) حب الله ، حيدر ، العرفان الإسلامي ،بين الإشكالية المعرفية والآلية التربوية والمنحى الواقعي /http://hobbollah.com/articles العرفان الإسلامي .

(٣٣) مرتضى مطهري، المجموعة الكاملة ١٤: ٥٥٢.

(٣٤) حب اللّه : م س.

(٣٥) حب اللّه ، م س .

(٣٦) حب اللّه ، م س .

(٣٧) حب اللّه ، م س

(٣٨) عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة: ٤٦٤ .

(٣٩) حب اللّه ، م س

(٤٠) العلامة الطباطبائي، مجموعة مقالات ١: ٣٩ .

(٤١) الخميني روح الله، الآداب المعنوية للصلاة: ٣٠١ـ٣٠٧ .

(٤٢) حب اللّه ، م س .

(٤٣) ظ : پناه ، يد الله يزدان ، العرفان النظري مبادئه واصوله ، ترعباس الموسوي ، مؤسسة الفكر لتنمية الحضارة الاسلامية ، ص ٧١ و٨٢ .

(٤٤) م س ، ص ٧٠ و ٨٣ .

(٤٥) شرح فصوص الحكم : ص ٤٤١ و ٤٥٩ .

(٤٦) الجيلي ، عبد الكريم ، الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر .

تح: صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٣ .

٣٩ .

(٤٧) ابن العربي ، الفتوحات المكية ، دار احياء التراث العربي، ط١ ،١٩٩٨،ج٤ ، ص ١١٠. ظ كذلك : محمد ، يحيى الفلسفة والعرفان والاشكالات الدينية ، دار الهادي ،ط١، ٢٠٠٥ ، بيروت ، ٤١٥ .

() ظ: موقع هجر على الانترنت ، ينقل فتاوى المجتهدين ويذكر الروابط التي حصل عليها لهذه الفتاوى(٤٨) http://hajrnet.net/hajrvb/showthread.php?t=٤٠٣٠٢٦٩٧٢

(٤٩)

http://www.alfayadh.com/site/index.php?show=news&action=article&id=٢.

(٥٠) http://alhakeem.com/arabic/pages/quesans/search.php ٣٩ .

(٥١) بيان وزع في مكاتب السيد مورخ ب ٢٨/ ربيع الاول / ١٤٣٢هـ شبكة هجر، م س ٣٩ .

(٥٢) بيان السيد السيستاني ، م س .

(٥٣) حب الله ، م س .

(٥٤) الشمس المنيرة ، ص٦٥ .

(٥٥) م.ن .

(٥٦) / علي_القاضي. www.ar.wikideia.org

(٥٧) https://www.alhussain-sch.org.

(٥٨) م ن.

(٥٩) https://alwareth.com/.

(٦٠) . القبانجي ، حسن ، حياة الفلاسفة والعرفاء ،ن الكلية الاسلامية الجامعة، مؤسسة الاعلمي للمطبوع ، بيروت ، ط١، ٢٠١٤، ج٣، ص٥٤٤

(٦١) ويكيبيديا . www.ar.m.wikipedia.org